وجوه هندباد

خليل حاوي

كان اليقين بان جمال المرأة ظل لجمال علوي ، وسلمّ يقود الى ذلك الجمال ، محور الوجوه والشعلة الساكنة ، وكان ذلك من قبل Dante الى Rosetti وما بعده بقليل .

قال Hapkins لجمال تموت نضارته :

« عد ايها الجمال ، عد الى الله ، ذات الجمال وواهبه » اما Yeats ذلك الشاعر غير المؤمن ، فوجد سرمدية الجمال في مرصعات الفن في بيزنطية ، جمال ثابت ، ثبات الله ، في الذهب المتوهج.. لقد تنكر شاعر الدم الحار لاله الدم الحار ايام عجزه وانفراط اعصابه .

بماذا يعزي اليوم واحدنا امرأة جار العمر على رخامها النضر ؟ بماذا يتعزى هو نفسه من حيوية اعصابه .. بماذا ، بماذا ؟ انحطمت الماهيات وتمزق المحور وراحت الاشياء ، بعد نظامها الدائري، في دوامة مجنونة. والفن : مدرسة تنفض مدرسة ، والخيال : ملاذ الضعفاء يدفنون رعبهم في سرابه العقيم .

لعله لم يبق لنا غير قطرة الدم المتحدرة من جيل لجيل ، لعلها وحدها المحور الذي يدور حوله الزمن

لعلها وحدها لا يتغلب عليها الزمن المتغلب على الرخام والذهب) .

وبعد فالقصيدة تحاول ان تعبر عن هذه التجربة بتجسيد حالاتها المتنوعة المتصارعة ، في جوهر ما يحتمه التجسيد من نفي لكل تمهيد او حكم او تقرير .

١ – وجهان

لم تَرَ الغربةَ في وجهي ،
ولي رسم بعينيها طَرِيٌّ ما تغيَّرْ
آمنٌ في مطرحٍ لا يعتريهْ
ما أعتري وجهي الذي جارتْ عليهِ
دمغةُ العمرِ السَّفيهْ
كيف – ربِّي – لا ترى
ما زوَّرَ العمرُ وحفَّرْ
كيف مرَّ العمرُ من بعدي ، وما مرَّ ،
فظلَّتْ طفلةَ الأمسِ وأصغَرْ
تَعْزِلُ الرسمَ على وجهي ،
وتحكي ما حكته لي مِرارْ .
عن صبيٍّ غصَّ بالدمعةِ
في مقهى المَطَارْ :
« غبتَ عنّي والثواني مرضتْ ،
ماتَتْ على قلبي ، فما دار النهارْ ،
. . ليلنا في الارز من دهر تراهُ
أمْ تراهُ البارحَهْ ؟
. . صدرُكَ الطيِّبُ
نفسُ الدفءِ والعنفِ ، ونفسُ الرائحَهْ ،
وجهُكَ الاسمرُ . . »
– أدري أنَّ لي وجهاً طريّاً
أسمراً لا يعتريهْ
ما اعترى وجهي الذي جارَتْ عليهِ
دمغةُ العمرِ السَّفيهْ
وجهيَ المنسوجُ من شتَّى الوجوهْ
وجهُ مَنْ راحَ يتيهْ :

٢ – سجين في قطار

مُرَّةٌ ليلتُه الاولى
وَمُرٌّ يومُه الاولُ في أرضٍ غريبَهْ ،
مُرَّةٌ كانتْ لياليه الرتيبَهْ ،
طالما عضَّ على الجوعِ ،
على الشهوةِ حرّى
وانطوى يعلكُ ذِكرى
يمسحُ الغبرةَ عن أمتعةٍ ملءَ الحقيبَهْ .
حجرٌ تحملُهُ الدوَّامةُ الحرّى ،
سجينٌ في قطارْ
ما درى ما نكهةُ الشمسِ ،
وما طيبُ العبارْ
ورشاشُ الملحِ في ريحِ البحار .

* * *

منْ أسابيعَ وفي غرفتِهِ
تلكَ الكئيبَهْ
تأكلُ الغبرةُ أشياءَ الحقيبهْ
تأكلُ الوجهَ الذي خلَّفهُ
لمَّا تعرَّى
ومضى وجهاً طريّاً
ما له أمسٌ وذكرى .

٣ – مع الفجر

مَنْ ترى يحتلُّ ذاكَ الفندقَ الريفيَّ ،
عرسُ الجنِّ فيه.. مُحْرَقَهْ !
لَهَبُ الرقصِ ، ورقصٌ في اللَّهَبْ ،
والتعَبْ ؟
من ترى يتعبُ منْ
لينِ الزنودِ المُحرِقَهْ
من ترى يرتاح في حمّى السريرْ !
صاحَ : « هذا الكأسُ لي
من أهرقَهْ ؟ »
ضحكَتْ : « ثوبي الدمشقيُّ الحريرْ
لستُ أدري ، لم أسلْ من مزَّقَهْ »

* * *

أتسقَنَ الدوخةَ من خصرٍ خَصْرٍ ،
عادَ من عرسِ العَجَرْ
دمغةٌ في وجههِ
في دمه طعمُ الشرَرْ ،
عمرُهُ ثانيةٌ عبرَ الثواني
يتلقّاها ، وينسى ما عبرْ ،
ما لَهُ ذاكرةٌ تُحصي الصُّوَرْ ،
عمرُهُ عمرُ الغجَرْ

وَلَهُ وجهُ الغَجَرْ
وجهُ من تبصقُهُ الدوّامةُ الحرّى
فيرسو في الموانِي ومحطّاتِ القطارْ
لِبَنَاتِ «البارِ» ما في جيبِه ،
.. ضحكةٌ .. حشرجةٌ خلفَ السّتارْ،
وجهُ مَنْ يتعبُ من نارٍ
فيرتاحُ لنارٍ .

٤ – بعد الحمّى

وجهُ مَنْ يصحو من الحمّى :
فراغٌ ، شاشةٌ ترتجُّ ،
عينٌ مطفأهْ ،
وصريرُ المدْفأهْ

٥ – جنّة الضجر

وجهُ ذاكَ الطالبِ القامي
على أعصابِ عينٍ متعبَهْ
في زوايا مُتْحَفٍ ، في مكتبَهْ
وجهُهُ يَعْرَقُ مصلوباً
على سفرٍ عتيقْ
وعلى صمتِ الصوَرْ ،
ووجوهٍ من حجَرْ ،
ثمَّ يرتاحُ الى الصمتِ العريقْ
حيث لا عمرٌ
يبوخُ اللونُ فيه ، والبريقْ .

* * *

ضَجَرٌ في دمه ،
في عينهِ الصمتُ الذي حجَّرَهُ طولُ
(الضجَرْ)
وجهُهُ من حجَرٍ
بينَ وجوهٍ من حجَرْ

٦ – بطاقات مزورة ، وأقنعة

لو دعاهُ عابرٌ للبيت ،
للدفءِ ، لكأسٍ مترعهْ ،
سوف يحكي ما حكى المذياعُ ،
يحكي : «سرعةُ الصّاروخ ، تسعيرُ
(الرّيالْ) ،
جوُّنا المشحونُ بالإشعاعِ
والموتى بحمّى الخوفِ .. » لا شُؤمٌ
محالْ ،
« طيّبٌ جوُّ العيالْ »
إبْتِذَالْ ،
لو دعاهُ عابرٌ للبيتِ
لن يمضي مَعَهْ
لو دعته إمرأهْ ،
ربَّمَا طابَتْ لها الخمرُ
وطاب الشعرُ .. نِعْمَ التوطئهْ ..
« ما بِنَا ، لا ما بِنَا من حاجةٍ
للضوءِ .. او للمدفأهْ .. »

* * *

ما لها فرَّتْ وغابتْ
حلوةٌ كانت ، وكانت طيّعَهْ !

* * *

عَتْمَةُ الشارعِ ،
والضوءُ الذي يجلو فراغَ الأقْنِعَهْ
وقناعٌ مسَّهُ ، حدَّقَ فيهِ ،
لو دعاهُ ؟ آهِ لن يمضي مَعَهْ .

٧ – في عَتمة الرَّحِم

خفّفوا الوطءَ
على أعصابِنا يا عابرينْ
نحن ما مُتْنَا ، تَعِبْنَا
من ضبابٍ وَسِخٍ ، مهتريءِ الوجهِ ،
(مُداجي)
يتمطّى افعواناً ، أخطبوطاً ،
وأحاجي ،
رَحِمُ الأرضِ ولا الجو اللعينْ
خفّفوا الوطءَ
على أعصابِنَا يا عابرينْ
نحن في عتمةِ قَبْوٍ مطمئنّ
نمسحُ الحمّى ، ونصحُو ، ونغنّي
نَتَحَفَّى ،
ونخفّي العمرَ من دربِ السنينْ
خفّفوا الوطءَ
على أعصابِنا يا عابرينْ .

٨ – الوجهان

بينما أمسحُ عن وجهي ترابَ القبرِ ،
(ذِكراهُ) ،
تَلَفَّتُّ ، انحَنَيْتْ
فوقَ عينَيْها ، رأيتْ
وجهَ طفلٍ
غصَّ بالدمعةِ في مقهى المطارْ ،
وهي تحكي ما حكَتْهُ لي مِرارْ ،
وكأنَّ العمرَ ما فاتَ على زهوِ
(الصبايا)
وحكاياتِ الصغارْ .

٩ – الوجه السرمديُّ

عشتِ في حَنْوةِ بيتٍ ، ما وقاكِ
أنَّهُ بيتٌ على الصخرِ تَعَمَّرْ ،
إنَّ خلفَ البابِ ، في صمتِ الزوايا
يحفرُ الموجُ ، وتدوي المهمَهْ
إنَّ في وجهِكِ آثاراً
من الموجِ ، وما حَنَّى ، وحفَّرْ ،
وأنا عدتُ من التيارِ وجهاً
ضاعَ في الحمّى ، وفي الموجِ تكَسَّرْ ،
بعضُنا ماتَ ، ادفنيهِ ، ولماذا
نعجنُ الوهمَ ونطلي الجمجُمَهْ ؟

* * *

أسندي الأنقاضَ بالأنقاضِ
شدّيها .. على صدري اطمئنّي
سوفَ تخضرُّ ،
غداً تخضرُّ في أعضاءِ طفلٍ
عمرُهُ منكِ ومنّي
دُمنَا في دمهِ يسترجعُ
الخصبَ المغنّي ،
حُلْمُهُ ذكرى لنا ،
رجعٌ لما كنّا وكانْ ...
ويمرُّ العمرُ مهزوماً
وَيعْوِي عندَ رجليهِ ورجلَيْنَا
(الزمانْ) .

كيمبردج — **خليل حاوي**